هذا الشكل، في استقلال عن العناصر اللغوية التي تتبنين وفقه كتابة، يقدم عناصر متناسقة وفق ترتيب هندسي محكم، متأسس على التوازن والتقابل في تميز عن توازي وتقابل الشكل النموذجي.

فبين المطلع والقفل تنتظم الأسماط في تواز عمودي، كما تتقابل الأغصان هندسياً بالنسبة لنقطة فاصلة هي السمط الثاني.

هذا التناسق البصري يحيل مباشرة على الاستعارة في تسمية الموشح. والموشح اسم مفعول من وشح، وهي في اللسان تفيد معنى التزيين والترصيع يقول ابن منظور: «الوشاح والأشاح على البدل كما يقال: وكاف واكاف، والوشاح كله حلي النساء، كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر، تتوشح المرأة به، ومنه اشتق توشح الرجل بثوبه، والجمع أوشحة ووشح ووشائح (. . .) والوشحاء من المعز السوداء الموشحة ببياض، وديك موشح إذا كان له خطتان كالوشاح وثوب متوشح، وذلك لوشي فيه. . .»[50].

يقدم هذا التحديد القاموسي أربعة معطيات متصلة كلها بالجانب البصري:

1 ـ حلي النساء.
2 ـ لؤلؤ وجوهر مخالف ما بينهما.
3 ـ السواد الموشح بالبياض.
4 ـ الوشي.

نجد هنا عودة إلى السمط السالف الذكر، والواقع أن هناك خصائص مشتركة بين الموشح والسمط. فالموشح يتضمن السمط من بين مكوناته من جهة، كما يقوم على التأليف بين عناصر متمايزة من جهة أخرى.

هذا التنوع في الأشكال والألوان يعود بنا إلى العقد كصورة بصرية تقابل التنوع الصوتي والإيقاعي في الموشح.

اختصاراً يمكن القول: إن الموشح كالسمط والمخمس لتأخره، فهو أقرب إلى بيئات الحضريين المتأخرين.

فالقدماء كما رأينا كانوا لا يوشحون ولا يسمطون، وهذا الشكل في ملمحه التنميقي المنسق أنسب إلى البيئة الأندلسية، يقول المقري التلمساني في نفح الطيب: «وأما أهل الأندلس، فلما كثر الشعر في قطرهم، وتهذبت مناحيه وفنونه، وبلغ التنميق فيه الغاية،

(50) ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج 2، ص. ص: 632 - 633.